اسم الدرس: تفسير سورة التكاثر

تصنيف الدرس: خطبة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وتركنا على المحجة البيضاء، ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه؛ فصلاة وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

تعريف عن سورة التكاثر

{يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} (ال عمران ١٠٢). أما بعد أحبتي في الله، من رحمة الله –عز وجل– بعباده أنه لم يتركهم سدًى، ولكن أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب، وإن الله –عز وجل– قد اصطفى هذه الأمة، أنزل إليها القرآن وأرسل إليها محمدًا –صلى الله عليه وسلم–.

جاهد النبي –صلى الله عليه وسلم في الله حق جهاده وبيّن لنا الأمور وما ترك خيرًا إلا ووضحه لنا. حفظ الله –عز وجل– القرآن من التبديل والتغيير ليكون تذكرة لنا؛ فالإنسان ينسى، تتغير به الظروف وتتبدل به الأحوال ويمر بكثير من الأوقات ينسى فيها حقائق عظيمة؛ منها ما خلقه الله –عز وجل– لأجله، قال ربنا {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} (الذاريات ٥٦).

أنزل الله –عز وجل– القرآن ليكون نورًا وتذكرةً وبرهانًا وشفاءً لما في الصدور.

معنا اليوم سورة من القرآن تذكرنا بحقائق عظيمة ينساها الإنسان في زحمة هذه الحياة، في كثرة الانشغالات ينسى الإنسان حقائق عظيمة، هذه السورة على قصر عدد آياتها إلا أنها احتوت على معانٍ عظيمة، هذه السورة تبين أن الله –عز وجل– يغضب من الإنسان غضبًا شديدًا إذا فعل ما أخبرت به هذه السورة.

هذه السورة العظيمة هي مجرد ثمان آيات، وبالرغم من أن هذه السورة ثماني آيات إلا أن لفظ الردع والزجر الذي هو لفظ "كلا" تكرر في السورة ثلاث مرات، وأقسم الله –عز وجل– في هذه السورة

ثلاث مرات، تخيل سورة من ثماني آيات يتكرر فيها لفظ الردع والزجر: لفظ "كلا" ثلاث مرات ويقسم الله فيها ثلاث مرات، ست آيات تحتوي على الغضب الذي يغضبه الله عز وجل إذا فعل الإنسان هذه الجريمة.

جريمة الانسان

ما هذه الجريمة؟ يقول الله -عز وجل-: {ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر} (التكاثر ١-٢) آيتان توضحان الجريمة، الخطأ الذي يسقط فيه الإنسان.

*ثم بعد ذلك {كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون *كلا لو تعلمون علم اليقين} (التكاثر ٣-٥) ثلاث آيات تبدأ بـ "كلا".

*ثم بعد ذلك يقول الله -عز وجل-: {لترون الجحيم} (التكاثر ٦) أي والله لترون الجحيم، لام القسم، يقسم الله -عز وجل- لترون الجحيم، {ثم لترونها عين اليقين} (التكاثر ٧) قسم آخر، {ثم لتُسألن يومئذ عن النعيم} (التكاثر ٨) قسم ثالث.

تخيل هذه السورة بالرغم من قصر عدد الآيات إلا أنها احتوت على هذا الكم من الغضب من الله -عز وجل-، نعوذ بالله من غضبه -سبحانه وتعالى-.

الهاكم التكاثر

تبدأ هذه السورة في بيان عِظم هذه الجريمة التي يقع فيها الإنسان، يقول الله -عز وجل-: {ألهاكم التكاثر* حتى زرتم المقابر} (التكاثر ١-٢)، هل له أن ينشغل بما لا فائدة فيه، وما لا يعود عليه بنفع لا في دين ولا في دنيا؟ جاء الخطاب بصيغة الجمع وكأن غالبنا يقع في هذا اللهو، غالبنا ينشغل بعيدًا عن مراد الله -عز وجل- منه في هذه الحياة.

{ألهاكم التكاثر} (التكاثر ١): ما الذي ألهى الإنسان؟ لم يقل الله -عز وجل- في هذا الموضع: الدنيا، ولكن قال: التكاثر، الإنسان بطبيعته ضعيف، خلق من علق، يحاول أن يسد هذا النقص، يعتقد أن هذا النقص قد يُسد بكثرة المال، بكثرة العدة والعتاد، بكثرة العقارات، يعتقد أنه طالما معه مال كثير،

ومعارف كثيرة، وعقارات كثيرة، أصبح آمنًا يحاول أن يسد هذا الضعف... ولا يسد هذا الضعف الذي بداخله إلا معرفة الله -عز وجل-، {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك} (الانعام ٨٢) أي أولئك فقط {لهم الأمن وهم مهتدون} (الانعام ٨٢)، لذلك كثرة الجمع توحي أن الإنسان لا يفكر في الآخرة، ويعتقد أن هذه الأموال التي يتكاثر بها، وأي شيء يتكاثر به تمنعه من الموت؛ لذلك قال الله -عز وجل- في سورة الهمزة: {الذي جمع مالًا وعدده *يحسب أن ماله أخلده} (الهمزة ٢-٣) معتقدًا أن المال سيجعله يعيش كثيرًا، وأنه مخلد في هذه الدنيا، يحسب ذلك الواهم أن ماله أخلده.

{ألهاكم التكاثر} (التكاثر ١): الفاعل الذي يجعل الإنسان يُلهى عن العبادة، وعن الطاعة، وعن مراد الله -عز وجل- في الدنيا هو: التكاثر، التكاثر بِمَ؟ لم يذكر الله -عز وجل- بمَ يتكاثر، التكاثر بالولد؟ التكاثر بالمال؟ التكاثر بالمعارف؟ التكاثر بالمعلومات؟ التباهي والتفاخر؟

التكاثر لفظ فيه اشتراك... أن يكون اهتمام الإنسان في الدنيا؛ أن يقول لصاحبه: {أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا} (الكهف ٣٤)، هو لا يجمع المال لأنه يحتاج إليه، لا، هو يجمع لأجل أن يتباهى، لأجل أن يفتخر، لأجل أن يسد النقص الذي بداخله حتى ينظر إلى الناس ويقول لهم: أنا أكثر منكم، أنا أغنى منكم، أنا أفضل منكم، كما قال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن {أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا} (الكهف ٣٤)، الإنسان يحب أن يتكاثر ويتباهى على الناس إلا من عصمه الله -عز وجل-.

أن ينشغل الإنسان بالجمع لأجل التكاثر، هذا يلهيه عن الغاية العظمى من مجيئه إلى هذه الدنيا، عن الغاية العظمى لخلق الله -عز وجل- له في هذه الدنيا {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} (الذاريات ٥٦).

{ألهاكم التكاثر} (التكاثر ١): عمّ ألهاهم؟ لم يقل الله -عز وجل- ألهاكم التكاثر عن الصلاة، ألهاكم التكاثر عن الصوم، ألهاكم التكاثر عن الحج، لم يذكر الله -عز وجل- عمَّ ألهاهم؟ لأن التكاثر لو دخل في حياة الإنسان ينسيه كل شيء، ينسى الصوم، وينسى الحج، وينسى الصلاة، وينسى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وينسى الذكر، وينسى أسهل الطاعات، وينسى الصدقة، ينسى كل شيء.

الإنسان إذا انشغل والتهى بالتكاثر -أي أنه يريد أن يجمع ويجمع- خسر، لذلك السورة التي تليها هي سورة العصر، والعصر آخر اليوم، وكأن الإنسان ظل ملهيًا بالتكاثر حتى انتهى عمره، حتى انتهى يومه، فيقول الله -عز وجل- {والعصر * إن الإنسان لفي خسر} (العصر ١-٢)، خسر لأنه كان ملهيًا

بالتكاثر، بالرغم من أن السورة التي قبل سورة التكاثر هي سورة القارعة، القرع: قرع الطبول، يكون في الحرب. القارعة أمر جلل، أمر عظيم يُوجل القلوب، وتذهل منه العقول، {وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} (الحج ٢) ما الذي ألهاه عن القارعة؟ ... التكاثر.

مشهد عجيب أن يظل الإنسان ملهيًا، إلى متى؟ حتى لم يقل الله -عز وجل- ألهاكم التكاثر حتى بلغتم الأربعين، ألهاكم التكاثر حتى بلغتم الخمسين، حتى بلغتم الستين، أبدًا بل {ألهاكم التكاثر} (التكاثر ١) إلى متى ظل ملهيًا؟ {حتى زرتم المقابر} (التكاثر ٢)، إلى أن مات!

لن تشبع

قال عبد الله بن الشخير رضي الله عنه (انتهيت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وَهو يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قالَ: يقولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قالَ: وَهلْ لَكَ، يا ابْنَ آدَمَ مِن مَالِكَ إلَّا ما أَكَلْتَ فأفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فأمْضَيْتَ؟)[1]، أمضيت: الصدقة تعبر إلى الآخرة، الإنسان يُفني أمواله في الدنيا، لا يبقى من المال إلا ما ابتغى فيه وجه الله، فأمضيت: تعبر الصدقة هذه القنطرة إلى الآخرة. يقول ابن آدم: مالي مالي. بل كان كثير من الصحابة منهم أُبيّ رضي الله عنه وغيره يقولون كنا نعد هذا القول من القرآن، ما هو هذا القول؟ (لو أن لابن آدم واديًا من ذهب لابتغى ثانيًا)[2]

أتتخيل هذا؟ تخيل عندما تقابل إنسانًا في مبتدأ عمره وتجري معه لقاء تقول له ماذا تتمنى؟ يقول لك أنا فقط أريد بعض قطع الذهب أبدأ بها حياتي، تقول له خذ هذا الذهب، فأخذ الذهب وعَمِل. فكبرت التجارة وأصبح لديه وادٍ من ذهب بين جبلين -مسافة بين جبلين مليئةً بالذهب-، لو أنفق هو، وأنفق أبناؤه، وأحفاده، وأحفاد أحفاده، وأحفاد أحفاد أحفاده ما انتهى! ثم تقابله بعد هذا الوادي

---

[1] [عن عبد الله بن الشخير:] دُفِعتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو يَقرَأُ هذه السُّورةَ {أَلْهَاكُمُ التَّكاثُرُ}.. فذكَر مِثلَهُ سَواءً [أي: حديثَ: أنَّ رجُلًا انتهى إلى رَسولِ الله ﷺ وهو يقولُ -وقال وكيعٌ مرَّةً: إنه انتهى إلى النَّبيِّ ﷺ وهو يقرأُ-: {أَلْهَاكُمُ التَّكاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ} [التكاثر: ١، ٢] قال: يقولُ ابنُ آدَمَ: مالي مالي، وهل لك مِن مالِك إلّا ما تصَدَّقْتَ فأمضَيتَ، أو لَبِستَ فأبلَيتَ، أو أكَلْتَ فأفنَيتَ]
شعيب الأرناؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ١٦٣٢٤ • إسناده صحيح على شرط مسلم • أخرجه مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢٣٤٢)، والنسائي (٣٦١٣)، وأحمد (١٦٣٢٤) واللفظ له

[2] [عن أنس بن مالك:] لَوْ أنَّ لِابْنِ آدَمَ وادِيًا مِن ذَهَبٍ أحَبَّ أنْ يَكونَ له وادِيانِ، ولَنْ يَمْلَأَ فاهُ إلّا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللَّهُ على مَن تابَ. وقالَ لنا أبو الوَلِيدِ: حَدَّثَنا حَمّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن ثابِتٍ، عن أنَسٍ، عن أُبَيٍّ، قالَ: كُنّا نَرى هذا مِنَ القُرْآنِ، حتّى نَزَلَتْ: {أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ} [التكاثر: ١].
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤٣٩ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٤٣٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٤٨) • شرح رواية أخرى

وتسأله ماذا تتمنى؟ يقول: وادٍ ثانٍ فقط، لا أريد من الدنيا شيئًا سوى وادٍ آخر! ليست حفنة ذهب أخرى بل واد!

فتعطيه واديًا ثانيًا، (ولو أن لابن آدم واديين من ذهب)[٣]، وفي رواية (من خيل)، وفي رواية (من ذهب وفضة)، [٤] – {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين} (ال عمران ١٤) كل المزينات– معه وادي آخر من ذهب، أغنى رجل في العالم تسأله ماذا تتمنى أيضًا؟ يقول: أمنيتي الوحيدة فقط وادٍ ثالث، ولا أريد غيره، ويظل هكذا...تكاثر!

يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى يقطع هذه الدائرة التي لن تنتهي أبدًا، (ولا يملأ جوف)[٥]، وفي رواية (عين)[٦]، وفي رواية (فاه ابن آدم إلا التراب)[٧]. أي سيظل هكذا لن يشبع إلا حينما يُحفى عليه التراب، حينها يفيق ويقول: نعم، أفقت الآن، عرفت أن هناك غاية لهذه الحياة سوى جمع المال!

{اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم} (الحديد ٢٠) نحن نُفسد بعضنا البعض، ننظر لبعضنا البعض، {وتفاخر بينكم وتكاثر} (الحديد ٢٠) يريد أن يكون أكثر منه في الأموال والأولاد.

لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– علمنا: متى تنظر لما في يد غيرك؟ وفيمَ؟ (لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ، وآناءَ النَّهارِ، فَسَمِعَهُ جارٌ له، فقالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما

---

[٣] [عن عبد الله بن عباس:] لو أنَّ لابنِ آدمَ واديَيْن من ذهبٍ لابتغى إليهما ثالثًا، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلّا التُّرابُ، ويتوبُ اللهُ على من تاب

أبو نعيم (ت ٤٣٠)، حلية الأولياء ٣٦٢/٣ • صحيح متفق عليه [أي: بين العلماء] من حديث ابن جريج عن عطاء •

[٤] [عن زيد بن ثابت:] عن زيدٍ، قال: كنا نقرأُ على رسولِ اللهِ ﷺ : لو أنَّ لابنِ آدَمَ واديَيْنِ - وفي لفظٍ: لو كان لابنِ آدَمَ واديانِ مِن ذهَبٍ وفضَّةٍ، وفي لفظٍ: أو في فضَّةٍ - لابتغى إليه آخَرَ، ولا يملأُ بطنَ ابنِ آدَمَ إلّا التُّرابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب.

السخاوي (ت ٩٠٢)، الأجوبة المرضية ١٨٣/١ • رواته ثقات •

[٥] [عن أبي موسى الأشعري:] بَعَثَ أَبُو مُوسى الأَشْعَرِيُّ إِلى قُرَّاءِ أَهْلِ البَصْرَةِ، فَدَخَلَ عليه ثَلاثُ مِئَةِ رَجُلٍ قدْ قَرَؤُوا القُرْآنَ، فَقالَ: أَنْتُمْ خِيارُ أَهْلِ البَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ، فاتْلُوهُ، وَلا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، كما قَسَتْ قُلُوبُ مَن كانَ قَبْلَكُمْ، وإنّا كُنّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنّا نُشَبِّهُها في الطُّولِ والشِّدَّةِ ببَرَاءَةَ، فَأُنْسِيتُها، غيرَ أَنِّي قدْ حَفِظْتُ منها: لو كانَ لابْنِ آدَمَ وادِيانِ مِن مالٍ، لابْتَغى وادِيًا ثالِثًا، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلّا التُّرابُ، وَكُنّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنّا نُشَبِّهُها بإحْدَى المُسَبِّحاتِ، فَأُنْسِيتُها، غيرَ أَنِّي حَفِظْتُ منها: يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولونَ ما لا تَفْعَلُونَ، فَتُكْتَبُ شَهادَةً في أَعْناقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْها يَومَ القِيامَةِ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٠٥٠ • [صحيح] •

[٦] [عن عبد الله بن عباس:] لَوْ أنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وادٍ مالًا لَأَحَبَّ أنَّ له إلَيْهِ مِثْلَهُ، ولا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إلّا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللَّهُ على مَن تابَ قالَ ابنُ عبّاسٍ: فلا أدْرِي مِنَ القُرْآنِ هو أمْ لا، قالَ: وسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، يقولُ ذلكَ على المِنْبَرِ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤٣٧ • [صحيح] •

[٧] [عن أنس بن مالك:] لَوْ كانَ لابْنِ آدَمَ وادٍ مِن ذَهَبٍ، أحَبَّ أنَّ له وادِيًا آخَرَ، ولَنْ يَمْلأَ فاهُ إلَّا التُّرابُ، واللَّهُ يَتُوبُ على مَن تابَ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٠٤٨ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨) واللفظ له •

أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالًا فَهو يُهْلِكُهُ في الحَقِّ، فقالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ)[٨].

لا حسد إلا في اثنتين: أي الغبطة، –عندما تنظر لأحد ما وتتمنى ما عنده دون أن يزول ما عنده من نعمة–، (إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالًا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار، أو سُلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقرأه آناء الليل وأطراف النهار) (سبق تخريجه) ...ليس الحسد في أن الله آتاه المال، أبدًا لكن الغبطة في أنه ينفق المال. ليس الحسد أو الغبطة في أن الله أعطاه القرآن، أبدًا بل في أنه يقرأ ويعمل بهذا القرآن.

الغبطة في الإنفاق؛ أي لو أعطى الله هذا الشخص مالًا كثيرًا وينفق منه صدقات قليلة، هذا لا يُتَمَنَّى أن يكون مثله أبدًا، لا تتمنى أن تكون مثل رجل مليونير ويخرج صدقات قليلة، هذا الرجل لا يُغبط، لا نتمنى أن نكون مثله؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال (لا حسد إلا في اثنتين)[٩] ، أي المنظومة كلها: رجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه، وفي رواية سُلط على هلكته في الحق، تقول أريد أن أكون مثله، أريد مالًا كي أنفقه.

{ألهاكم التكاثر *حتى زرتم المقابر} (التكاثر ١-٢): العجيب أن الإنسان هنا هو المفعول به! {ألهاكم التكاثر} (التكاثر ١) التكاثر ألهاه وشغله إلى أن مات، إذًا ماذا على الإنسان أن يفعل؟ ابتعد عن التكاثر، حاول ألا تفاخر الناس، ألا تكاثر الناس.

العمر قصير

أيضًا هناك إشارة في هذه الآيات أن العمر قصير، العمر لا يتسع أن تفعل فيه كل شيء، يموت ابن آدم ولا يقضي من أمانيه إلا القليل، وفي رواية (عن ابن مسعُودٍ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وخَطَّ خَطًّا

[٨] [عن أبي سعيد الخدري:] لا حَسَدَ إلّا في اثنَتَيْنِ.. فذكَرَ مِثلَهُ سَواءً. [أي: حَديثَ: لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجلٌ أعطاه اللهُ القُرآنَ، فهو يتلوه آناءَ اللَّيلِ والنَّهارِ، فسَمِعَه رجُلٌ، فقال: يا ليتَني أُوتيتُ مِثلَ ما أُوتِيَ هذا، فعَمِلتُ فيه مِثلَ ما يَعمَلُ فيه هذا! ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا فهو يُهلِكُه في الحَقِّ، فقال رجلٌ: يا ليتني أوتيتُ مِثلَ ما أُوتِيَ هذا، فعَمِلتُ فيه مِثلَ ما يَعمَلُ فيه هذا!]
شعيب الأرناؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ١٠٢١٥ • إسناده صحيح على شرط الشيخين • أخرجه أحمد (١٠٢١٥)، وابن أبي شيبة (٣٠٩١٢)، وأبو يعلى (١٠٨٥)

[٩] (سبق تخريجه)

في الوَسَطِ خَارِجًا منْهُ، وَخَطَّ خُططًا صِغَارًا إلى هَذَا الَّذِي في الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَطِ، فَقَالَ: هَذَا الإِنسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ –أَوْ: قَد أَحَاطَ بِهِ– وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا) [10] رواه البخاري.

خط خطًا مستقيمًا ثم قطعه بخط آخر، خط طويل جدًا وفي نصف الخط يقطعه، (فقال: هذا أمل ابن آدم) [11] ، هذا الأمل الطويل يقطعه أجله، الأجل يأتي عند الآمال ويقطعها، الإنسان يؤمل ويؤمل ويؤمل ثم يأتي الأجل يقطع كل هذه الآمال، الذي لا يفكر في الأجل ولا يفكر إلا في الأمل إنسانٌ مغبون، إنسانٌ خاسر، فالله –عز وجل– يخبرنا أن العمر قصير لا يسع كل آمالك، لا بد أن تكون عاقلًا فيم تستثمر العمر، أين تضع أوقاتك؟ وأين تضع الزمان؟ وماذا تفعل بشبابك؟ بعمرك؟ بهرمك؟ سوف تُسأل عن هذه الأزمنة، وعن هذه الأوقات...لا تكن مغبونًا!

قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ) [12]. الغبن ليس مجرد الخسارة، الغبن هو الخسارة الفاحشة، وكي أوضح لك معنى الغبن؛ تخيل لو شخص معه سيارة صغيرة وقديمة وآخر مليونير معه سيارة من أثمن وأحدث السيارات، فهذا الرجل الغني ذهب للفقير وقال له: أتستبدل سيارتك بتلك السيارة؟

فعندما يستبدل هذه السيارة الحديثة الغالية بسيارة قديمة رخيصة ...نقول له: لقد غُبِنت. ما الذي يجعلك تستبدل هذه السيارة بتلك؟ الفارق عظيم! لقد غُبِنت.

من معه شيء ثمين جدًا –ذهب مثلًا– ويبيعه بسعر بسيط جدًا، نقول: هذا مغبون! لأنه لم يعرف قيمة ما معه. هكذا الذي يُضيع العمر لا يعرف قيمة هذا العمر! هذا العمر قد يرفعك إلى الفردوس الأعلى، هذا العمر قد يجعلك بصحبة نبيك –صلى الله عليه وسلم– في الجنة. هذه الأوقات التي تمر "سبحان

---

[10] [عن عبد الله بن مسعود:] خطَّ لَنا رسولُ اللهِ ﷺ خطًّا مربَّعًا وخَطَّ في وسطِ الخطِّ خطًّا وخَطَّ خارجًا منَ الخطِّ خطًّا وحولَ الَّذي في الوسطِ خطوطًا فقالَ: هذا ابنُ آدمَ وَهَذا أجلُهُ مُحيطٌ بِهِ، وَهَذا الَّذي في الوسطِ الإنسانُ، وَهَذِهِ الخطوطُ عروضُهُ إن نَجا من هذا ينهشُهُ هذا، والخطُّ الخارجُ الأمَلُ

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٢٤٥٤ • صحيح • أخرجه البخاري (٦٤١٧) بنحوه، والترمذي (٢٤٥٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٣١)، وأحمد (٣٦٥٢) باختلاف يسير.

[11] (سبق تخريجه)

[12] [عن عبد الله بن عباس:] نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤١٢ • [صحيح]

الله وبحمده" بنخلة ساقها ذهب في الجنة، هذه الأعمار التي تضيع منا والإنسان يلهو فيها قد ترفعه إلى أعلى عليين لرؤية وجه الملك –سبحانه وتعالى–. علام يلهو الإنسان عن هذه الأشياء؟

القبر

{ألهاكم التكاثر *حتى زرتم المقابر} (التكاثر ١-٢) انظر للتعبير القرآني، لم يقل" حتى مُتم"، قال: {حتى زرتم المقابر} (التكاثر ٢)، لفظ المقابر لفظ تبغضه النفوس، يخاف منه الإنسان، لفظ موحش، لفظ مرعب. تخيل مشهد شخص يجمع أموال وملايين وعقارات ثم يتجه بكل هذه الاشياء إلى حفرة صغيرة، أين يضع هذه الأشياء؟ تخيل مشهد إنسان ظل يجمع ويجمع ويجمع، ثم أتى ظهره محملًا بكم هائل من الأموال لا تحصى، ثم بعد ذلك هو مطالب أن ينزل إلى هذه الحفرة، فيترك كل هذه الأشياء، وينزل وحيدًا في هذه الحفرة.

هذا المشهد الذي يصوره القرآن هنا، ظللت تجمع ونزلت وحيدًا في حفرة ضيقة تكاد أن تكون على مقاسك، حفرة ضيقة يُحفى عليك التراب، تترك كل شيء، ظللت تجمع وتجمع وتتكاثر وتُباهي وتفاخر، ثم ماذا؟ ثم الموت!

لما نزل ملك الموت لموسى عليه السلام ولم يكن يعرفه موسى وفقأ عينيه، عاد ملك الموت إلى وقال أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت، فنزل ملك الموت إلى موسى عليه السلام وقال له الله –عز وجل– قل له: يا موسى ضع يدك على متن ظهر ثور فلك بكل شعرة تمسها يدك عام تعيشه. فنزل ملك الموت وقال لموسى: ضع يدك على ظهر ثور، ولك بكل شعرة تمسها يدك سنة تعيشها، فقال أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن... قال: أي رب ثم ماذا؟ ما النهاية؟ النهاية هذه الحفرة الصغيرة. [١٣]

[١٣] [عن أبي هريرة:] أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إلى مُوسى عليها السَّلامُ، فَلَمّا جاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إلى رَبِّهِ، فَقالَ: أرْسَلْتَنِي إلى عَبْدٍ لا يُرِيدُ المَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عليه عَيْنَهُ وقالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ له: يَضَعُ يَدَهُ على مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بكُلِّ ما غَطَّتْ به يَدُهُ بكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قالَ: أيْ رَبِّ، ثُمَّ ماذا؟ قالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قالَ: فالْآنَ، فَسَألَ اللَّهَ أنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بحَجَرٍ، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ : فلوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إلى جانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأحْمَرِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١٣٣٩ • [صحيح]

{حتى زرتم المقابر} (التكاثر ٢) الإنسان يظل ملهيًا ثلاثين سنة أو أربعين سنة، يمكن أن نتخيل إنسانًا يُلهى ساعة، نسي يومًا، يومين، أسبوعًا مشغول، إنما طوال العمر مشغول؟ كيف؟ كيف سيطر الشيطان على عقله؟ كيف ظل ملهيًا؟

تخيل إنسانًا شابًا يقول: أنهي تعليمي أولا، عندما أتخرج، تكلمه عندما يتخرج لكي يحافظ على الفروض ويتعلم شيئًا ينفعه في دينه، يقول: فقط عندما أعمل، تأتيه بعدما عمل يقول: عندما أتزوج، عندما يتزوج يقول: عندما أرزق بالأبناء، وبعد هذا يقول: حينما أكبر، يظل هكذا يمني نفسه ويمني نفسه، هذه الأماني يقطعها الموت، متى يجب أن يفيق الإنسان؟!

تأتي هذه السورة بهزة عنيفة وكأنهم سكارى لابد أن يفيقوا في الدنيا، {كلا} (التكاثر ٣) أي أفيقوا، لا تستمروا هكذا، صيحة عالية مدوية، {كلا سوف تعلمون} (التكاثر ٣) لو ظللتم على حالكم هذه سوف تعلمون حقيقة ما أنتم عليه وأنه لن ينفعكم ما كنتم فيه من اللهو والتكاثر والتباهي!

سوف تعلمون

{كلا سوف تعلمون* ثم كلا سوف تعلمون} (التكاثر ٣-٤): قيل سوف تعلمون في القبر، عندما ينزل الإنسان القبر سوف يعلم! (يتبع الميت ثلاثة: المال، والأهل، والعمل) [١٤] أريدك أن تتخيل مشهد شخص يمشي باتجاه القبر، ووراءه ثلاثة جنود: الأهل، والمال، والعمل، لحظة أن وصل للقبر ونزله التف اثنان ورجعا، (فيرجع اثنان: الأهل، والمال، ويبقى العمل) (سبق تخريجه).

تخيل حسرة من كان عمله ضعيفًا وماله كثير وهو ينظر إلى المال وهو يذهب عنه، يقول: إلى أين تذهب؟ ظللت أنميك وأكثرك، تتركني الآن، وينظر إلى العمل ويقول: شُغِلت عنك أنت الذي تنزل معي الآن، أنت الضعيف الهزيل تنزل معي! ماذا تفعل؟ ماذا تغني عني؟ (فيرجع اثنان ويبقى العمل) [١٥].

{حتى زرتم المقابر *كلا سوف تعلمون} (التكاثر ٢-٣) سوف تعلمون حقيقة ذلك في القبر، ثم سوف تعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة، وقيل هذا التكرار يفيد الكثرة، ما معنى الكثرة؟ أي كل مرة انشغلت

[١٤] [عن أنس بن مالك:] يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنانِ ويَبْقى معهُ واحِدٌ: يَتْبَعُهُ أهْلُهُ ومالُهُ وعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أهْلُهُ ومالُهُ ويَبْقى عَمَلُهُ
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٥١٤ • [صحيح]

[١٥] (سبق تخريجه)

فيها عن الطاعة بالتكاثر سوف تُعاقب عليها، فكل مرة كنت جالسًا والأذان يؤذن ولم تقم لتصلي، تُذَكر بكل لحظة شُغلت فيها عن الطاعة سوف تعلم عاقبة ذلك، أنت في الدنيا لا تعلم العاقبة، فقد يحدث أن إنسانًا يعمل في الدنيا والآذان أذن والصلاة انتهت والوقت خرج وهو يتابع ما يفعل، في الدنيا من الممكن أن يكسب، أي ليس دائمًا من يترك الصلاة يخسر، أبدًا، قد يكسب ويكون هذا استدراجًا فلا يعلم عاقبة ما فعل وأحس أن الأمر عادي!

أنت ممكن أن تقابل شابًا فتسأله هل صليت العشاء؟ يقول: أنا لم أُصلِ فرضًا من الصباح، أنا لم أصلِ فرضًا من أسبوع، أنا لم أُصلِ فرضًا من سنة، ويمارس حياته بشكل عادي، هو لا يعلم عاقبة ما يفعل هو يمارس حياته بطريقة طبيعية، لا يعلم أن الله -عز وجل- غاضبٌ عليه...لا يعلم عاقبة فعله!

سوف يعلم... والله سوف يعلم {كلا سوف تعلمون* ثم كلا سوف تعلمون} (التكاثر ٣-٤) آه لو تعلمون {كلا لو تعلمون علم اليقين} (التكاثر ٥) لو تعرف ماذا تُضيع وأنت مشغول عن الطاعة؟!، لو تعلم ما ينتظرك من عقاب وأنت تلهو عن الطاعة؟! لو تعلمون علم اليقين.

جواب (لو) (التكاثر ٥) محذوف لم يذكره الله؛ أي أن كلمة {لترون الجحيم} (التكاثر ٦) هي جملة جديدة أصلًا، هذا معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم- :(لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعودات تجأرون إلى الله)[١٦].

لو تعلمون علم اليقين، لو تعرف عاقبة اللهو، لو تعرف عاقبة أنك لا تنشغل بالطاعات والله ما كان هذا حالكم ، آه لو تعلمون علم اليقين، وكأن فيها إشارة إلى أن يفيق الإنسان في الدنيا، أن يفيق الإنسان في الدنيا قبل أن يموت{ لو أنهم كانوا يهتدون} (القصص ٦٤)، لو أنهم كانوا يفيقون في الدنيا ، لكن للأسف لم يفق وأصر على اللهو، أصر على الانشغال، أصر على التكاثر إلى أن مات فقال الله -عز وجل- طالما أنكم أصررتم على اللهو {لترون الجحيم} (التكاثر ٦) أي: والله لترون الجحيم ، يقسم الله -عز وجل- أن عاقبة المتكاثر الملهي بالدنيا عن الآخرة ، يقسم الله ؛والله لا يحتاج إلى قسم...كما قال الأعرابي حينما سمع قول الله -عز وجل- { فورب السماء والأرض إنه لحق }

---

[١٦] [عن أبي ذر الغفاري:] إني أرى ما لا تَرَوْنَ وأسمعُ ما لا تسمعون أَطَتِ السماءُ وحقٌّ لها أن تَئِطَّ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا وملكٌ واضعٌ جبهتَه للهِ ساجدًا واللهِ لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا وما تلذَّذتم بالنساءِ على الفُرُشِ ولخرجتم إلى الصُّعداتِ تجأرونَ إلى اللهِ لوددتُ أني كنتُ شجرةً تُعْضَدُ
ابن العربي (ت ٥٤٣)، عارضة الأحوذي ١٥٢/٥ • صحيح

(الذاريات ٢٣) ، قال "من الذي أغضب الملك حتى أقسم؟"، من الذي أغضب الملك حتى أقسم {لترون الجحيم} (التكاثر ٦)؟،

إنه انشغال الناس عن ربهم! يخلقهم الله ويرزقهم ويُنعم عليهم ثم حتى لا يذكرونه ولا يصلون! لا يذكرون اسمه! لا يلهجون بذكره!

تخيل أب ينفق على ابنه ويغذيه ويعطيه كل شيء حتى كبر الابن، فلا يذكر حتى والده لا يريد أن يذكر اسمه، لا يريد أن يزوره، ماذا نقول على هذا؟ أنه جاحد، يغضب الوالد منه! تخيل نعم الله –عز وجل– على الإنسان أعظم بكثير، فالله –عز وجل– أرحم بالناس من الوالدة بولدها، نعمٌ ورحمةٌ وفضلٌ وعطاءٌ وكرمٌ وحلمٌ ولطفٌ ثم بعد ذلك ينساه الإنسان!

أنا ليس عندي وقت للصلاة، ليس عندي وقت أطيع الله، ليس عندي وقت لأتعلم، ليس عنده وقت! يلهو ويلهو ويلهو إلى أن يرى الحقيقة رأي العين، إلى أن يرى الجحيم بعينيه، عندما يرى الجحيم يتذكر كل لحظة انشغل فيها عن الطاعة؛ بل قبل ذلك عندما يدخل القبر ويفتح له في قبره باب إلى الجنة فيستغرب لأنه عاصٍ، كان يلهو! فعندما يرى الجنة يفرح، فيقال له: هذا منزلك من الجنة لو كنت أطعت الله، لو كنت اتبعت كلام الله أنت لم تتبع كلام الله، فيغلق باب الجنة ويفتح باب النار! زيادة في الحسرة، حينما يرى الجحيم بعينيه يعلم أن الكلام لم يكن مجرد خُطب، أنه لم يكن مجرد كلام، أن الذين كانوا يذكرونه عن الآخرة لم يكن مجرد كلام...ولكنها حقائق.

حينما يرى ذلك بعينيه يقول: فعلًا صدقوا {وصدق المرسلون} (يس ٥٢)، فعلًا كانوا على حق، فعلًا كلامهم كان حقا وليس هزلا، أنا من كنت غافلًا أنا من كنت لاهيًا!

والله {لترون الجحيم} (التكاثر ٦) وبعد أن يراها يدخل فيها و–العياذ بالله– {ثم لترونها عين اليقين} (التكاثر ٧) أي لتقاسونها: تدخلونها، يعني في البداية يراها كنوع من أنواع العذاب (يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك) [١٧]فور وصولها فما يبقى أحد إلا يجثو على ركبتيه حتى الأنبياء يقولون يا رب سَلِم سَلِم! حينها يعرف العاصي أن هذا مصيره، يعرف ذلك حينما يرى

[١٧] [عن عبد الله بن مسعود:] يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لها سَبْعُونَ أَلْفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٤٢ • [صحيح]

الجحيم ويخرج اللسان من النار يلتقطه {ثم لننزعن} (مريم ٦٩) ينزع من بين الناس {أيهم أشد على الرحمن عتيا} (مريم ٦٩)، أكثر المجرمين إجرامًا يؤخذ من بينهم أولاً فيكون أول من يسقط في جهنم و- العياذ بالله- {ثم لترونها عين اليقين} (التكاثر ٧) ثم بعد كل ذلك لتسألن يومئذ عن النعيم.

اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم....

الخاتمة

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

أحبتي في الله: هذه السورة تبين لنا حقائق منسية في حياتنا لا نفكر فيها وننشغل عنها، هذه الحقائق لو أبصرناها في الدنيا لأفلحنا، لكن لو تغافلنا عنها وأعرضنا فهي المصيبة العظمى، هي الطامة الكبرى التي لا مصيبة بعدها، لذلك تأتي هذه السور في ظاهرها شدة وفي باطنها رحمة بالإنسان حتى يفيق، تأتي هذه السور تهز الإنسان هزًا عنيفًا حتى يفيق في الدنيا فيفلح، ولكن كثيرًا من الناس يعرض لا يريد أن يسمع كما قال الله -عز وجل-: {وكانوا لا يستطيعون سمعا} هو مشغول مشغول.

تخيل مشهد تمثيلي أن شابًا سمع الأذان نزل يصلي وهو في الطريق إلى الصلاة وجد قطعة ذهب على الأرض ففرح ونزل يلتقط الذهب ثم ما كاد أن ينهض حتى يلحق بالصلاة ، فإذا به يرى قطعة أخرى، فالتقط القطعة الأخرى، كلما أراد أن يلحق بالصلاة يرى قطعة أخرى من الذهب على الأرض ظل يجمع ويجمع ويجمع، فاته العصر وفاته المغرب وفاته العشاء وهو يجمع، ذهب اليوم وذهب الأسبوع وذهب العام وهو يجمع، كل ما يرفع يجد قطعة أخرى وهو يجمع، مرت السنون والأعوام والأيام وهو يجمع ويجمع، ففوجئ وهو الذي كان في طريقه إلى الصلاة وهو ابن الثمانية عشر ربيعًا ،صار في الستين من عمره ، وليس في حياته لا ظهر ولا عصر ولا مغرب ينام الساعة الثانية قبل الفجر ويستيقظ الساعة الثامنة، وينام الساعة الثانية ظهرًا ويستيقظ العشاء، ليس في حياته مكانٌ للفروض، ليس في حياته ذكر، ليس في حياته مكانٌ للعلم، ليس في حياته طاعة، ليس في حياته أمرٌ بالمعروف ولا نهيٌ عن المنكر، حياته استقرت على ألا مكان للطاعة فيها، تكلمه عن الطاعة فلا وقت عنده لها، يقول: ليس عندي وقت !! لا يوجد وقت! فحينما تكلمه وقد كان ابن ثمانية عشر وقد صار الآن ابن الستين عامًا،

تكلمه فينظر إليك لا يبصرك ولا يستطيع أن يسمعك ثم ينصرف... يكمل الجمع حتى يسقط في حفرته ويموت.

قصة متكررة في حياة كثير من الناس أنه لا يفيق حتى يموت، هذا الذي جمعه، جمعه ليتنعم به، فيقسم الله أنه سوف يُسئل عن هذا النعيم.

{لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين} (التكاثر ٦-٧) دخل النار -والعياذ بالله – هل يمكن النار تكفي؟!! لا، بل يُعذب فيها عذابا معنويا...يبكت وهو في النار، تبكيت طوال مُكثه في النار يُسأل ماذا فعلت بنعمة كذا ؟، ماذا فعلت بوقت كذا؟، ولماذا تركت وقت كذا من الصلاة؟ ولماذا لم تفعل كذا؟ يُسأل عن كل نعيم شغله عن الطاعة، يُسأل عن كل نعيم صرفه عن طاعة الله -عز وجل-.

{ثم لتسألن يومئذ} (التكاثر ٨) يوم القيامة.. {عن النعيم} (التكاثر ٨)، النعيم كان المتوقع أن يجعلك تشكر المنعم، الإنسان عندما يجد نعمة كان متوقع أنه يقول الحمد لله ويشكر النعمة وينفق ويصلي شكرًا لله -عز وجل-، لكن العجيب أن هذا الشخص صرفته النعمة عن شكر رازقه وخالقه، {يأيها الناس هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون} (فاطر ٣) لماذا تُصرفون عنه -سبحانه وتعالى-!

الإنسان ينشغل بالجمع حتى ينسى هذه الحقائق {ألهكم التكاثر.. حتى زرتم المقابر} (التكاثر ١-٢) كلمة زرتم تعنى أن الذهاب للمقابر في الموت هي مجرد زيارة بالنسبة لما سيلاقيه يوم القيامة، ممكن شخص يظل مدفون أربعة آلف سنة، مدفون مثلا مئة ألف سنة، عشرون ألف سنة، مدفون من سنين، وهذه الفترة كلها يسميها الله "زيارة" الزيارة دائمًا أقل من وقت الإقامة، أي أن هذا الوقت الذي يقضيه في القبر لا يساوى شيئا بالنسبة لما سيلاقيه في البعث وبالنسبة لما سيلاقيه من الخلود سواء في الجنة أو في النار، نسأل الله أن نكون من أهل الجنة، إذًا المكث في المقابر هو مجرد زيارة.

بل رويت بعض الآثار شيئًا عجيبًا جدًا، أن حيان من العرب تفاخرا، هذا يقول قبيلتي تملك كذا وكذا، والآخر يقول قبيلتي تملك كذا وكذا، حتى إذا ما انتهوا من التفاخر بكل ما يملكون، قالوا تعالوا نتفاخر بالأموات!!فذهبوا إلى المقابر قالوا جدي فلان الذي مات!، قالوا هذه مقابرنا. ظلوا يتفاخروا حتى بالموت وبالمقابر!، كأن هذه إشارة إلى أن أسباب الموعظة قد تتحول إلى أسباب صرف عن الطاعة وهذا ما نراه بأعيننا يتباهى الناس بالمقابر!!!

الإمام ابن عطية وكان يعيش في الأندلس ذكر في تفسيره ويتعجب يقول: "عندنا في الأندلس شيء عجيب أن الناس تتباهى بالمقابر"!، فقال أبو حيان: – وهو عاش بعده بمائتي عام وعاش في مصر، "فكيف إذا رأى ما يفعله أهل مصر سنة سبعمائة من الهجرة "، أبو حيان يتعجب: ابن عطية مستغرب من أهل الأندلس فما باله لو شهد أهل مصر وما يفعلونه في المقابر والمباهاة والتفاخر الذي يحدث الآن!! فكأن أسباب الموعظة قد تتحول لأسباب صرف عن الطاعة!!!

وعلى سبيل المثال: وقت الكسوف من المفترض أن الناس تخاف، لكنك تجد الناس تشتري النظارات، وتخرج لتشاهده! المقابر أضحت مكانًا للتباهي، المستشفيات التي هي من المفترض مكان للموعظة تجد عند كل مريض شاشة ويُعرض له من خلالها الأفلام والمسلسلات حتى ينسى!!!

أماكن الموعظة تحولت إلى أماكن صرف عن الطاعة، كيف يستفيد الإنسان من الموعظة، حتى هذه الاماكن لم تعد أماكن للموعظة كما كانت من قبل، يتباهون حتى بمقابرهم، تباهوا حتى بموتاهم.

قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– (ألا قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور) [١٨] هذا لما كان المجتمع حديث عهد بشرك، لكن لما استقر التوحيد قال:(ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة) (سبق تخريجه) الغرض الأساسي من زيارة القبور هو تذكر الآخرة، بمعنى أن الإنسان ينسى الآخرة، فيحتاج إلى مذكرات، يحتاج ما يُذكره، يذهب إلى المقابر يقول: "هذا مكاني، هذه نهايتي، هذا مصيري " مهما طال العمر لا بد من دخول القبر، هذه النهاية الحتمية التي أتناساها، التي أغفل عنها، ما الذي يستحق أن أنصرف عن الطاعة بسببه!

أختم بقوله –صلى الله عليه وسلم– (تلفظ الأرض وتخرج الأرض أفلاذ أكبادها أمثال الأسطوان يوم القيامة) [١٩] الأرض تخرج الكنوز التي بداخلها يوم القيامة، ذهب وفضة و كل الكنوز تخرج، فيمر القاتل الذي قتل لأجل المال، ولأجل المناصب، يمر على هذه الأموال و يقول: في هذا قَتلت أو في هذا قُتِلْت؟، ويمر السارق ويرى الأموال ملقاة لا يأخذها أحد و يقول: في هذا سرقت، وفي هذا قُطعت

---

[١٨] [عن بريدة بن الحصيب الأسلمي:] إِنِّي كنتُ نَهَيْتُكم عنْ زيارةِ القبورِ، فزوروها، لِتُذَكِّرَكُمْ زيارتُها خيرًا، وكنتُ نَهَيْتُكم عنْ لحومِ الأضاحي بعدَ ثلاثٍ، فكلُوا، وأمسِكُوا ما شئتُم، وكنتُ نَهَيْتُكم عنِ الأشْرِبَةِ في الأوْعِيَةِ، فاشربوا في أيِّ وعاءٍ شئتُم، ولا تشربوا مُسْكِرًا
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٢٤٧٥ • صحيح

[١٩] [عن أبي هريرة:] تَقِيءُ الأرْضُ أفْلاذَ كَبِدِها، أمْثالَ الأُسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ القاتِلُ فيَقولُ: في هذا قَتَلْتُ، ويَجِيءُ القاطِعُ فيَقولُ: في هذا قَطَعْتُ رَحِمِي، ويَجِيءُ السّارِقُ فيَقولُ: في هذا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذُونَ منه شيئًا.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٠١٣ • [صحيح]

يدى، و يمر قاطع الرحم و يقول: في هذا...، شيء حقير الآن {وإذا العشار عطلت} (التكوير ٤) الأموال لم يعد لها قيمة، و يقول: في هذا قطعت رحمي؟ ثم يتركونه ويذهبون...تأمل مشهد يتركونه ويذهبون مشهد: آلآنَ!

لذلك قال الله –عز وجل– لنا في الدنيا {كلا سوف تعلمون* ثم كلا سوف تعلمون} (التكاثر ٣-٤) آية تجعل المؤمن يبكي حسرة.

{كلا لو تعلمون علم اليقين} (التكاثر ٤): وكأن الله –عز وجل– ينادي على الغافل.. أفق! أبصر! هل من مستغفر؟ ... يبسط الله يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويتنزل الملك جل وعلا –سبحانه وتعالى– يتنزل تنزلًا يليق بجلال وجهه كل ليلة ويقول: هل من تائب؟ ألا تريد أن ترجع؟! ويعرض الإنسان ويُعرض ثم إذا عاد بعد طول غياب يفرح الله به، الحمد لله على هذا الرب.. الحمد لله رب العالمين...بعد طول غياب وإعراض يعود، بعد طول ارتكاب للمعاصي يعود، يفرح الله به ويستره، ويبدل سيئاته حسنات، الله أكرم.. الله أكبر.... علامَ الإعراض؟ علامَ التغافل؟ لماذا التلاهي بعيدًا عن طاعة الله –عز وجل–؟!

نسأل الله –عز وجل– أن يجعل أعمارنا عامرةً بطاعته..

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم املأ أوقاتنا بطاعتك اللهم اعمر أوقاتنا بذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة، اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة، اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك ترضى بها عنا يا رب العالمين اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، اللهم ارزقنا الإنفاق في سبيلك وارزقنا قراءة القرآن وتدبره والعمل به آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي ترضى به عنا.

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.